

## مكسيم غوركي

في يوم ماطر ، وقف الطفل إلى جانب النعش الملقى في زاوية بعيدة من زوايا باحة الكنيسة ، ترتعش أوصاله ، ويحدق في ضفدعتين تتراكضان فوق غطاء النعش .

كان ذلك المنظر . كل ما علق في ذهن الطفل من ذكرى أبيه المسجي داخل النعش . ولولا جدته ما علم غوركي شيئاً عن مجرى حياة أبيه . وهي التي أسرت في أذنه يوم مات أبوه بضع كلمات ، فخواها أنه مات قهراً وغماً من جده المتعسف الذي جعل حياة ابنه - أبي مكسيم - حياة مظلمة معتمة . وكبر الطفل ، وأرهف حسه ، وأصبح فتى يدرك كل ما يجري حوله . وأخذ يتبرم بحياة الشظف والحمران التي يحيها في كنف جده لأبيه . ولم يعد يستطيع المضي في عمله الشاق عند ذلك الحداء الذي اختاره الجدم معلماً للفتى . كما لم يعد في إمكانه الاذعان لجده والصبر على إهاناته القاسية وضربه المبرح له ؛ فقرر الفرار . وظل في نجينوفورود أياماً يجوب الطرقات ويتسكع في الأحياء والجوع ينهش معدته ، إلى أن عثر على عمل في سفينة صيد . وانكب على عمله الجديد يؤديه برضا خاطر وطيب نفس ، رغم الارهاق الذي كان يلحقه به غسل الأطباق من الصباح حتى منتصف الليل ؛ وذلك لشعور يخامر لم يكن يحس به من قبل ، وعرفه فيما بعد بالسعادة والطمأنينة . فالنهر المتدفق العريض ، والأحراش الخضراء المنبسطة على طرفيه ، والسماء الزرقاء الصافية ، كل ذلك جعل الفتى يطمئن قليلاً للحياة ، وينعم بتلك الطبيعة الأخاذة التي أصبحت ملك يديه .

وتجمعت لدى الفتى بضعة قروش ، اشترى بها شبكة وطوقاً وبضعة فخاخ لصيد الطيور . وغادر السفينة لا يبغى الرجوع ، وساح في الأدغال يحمل على كتفيه عدة الصيد وغطاء يقيه برد الليل . وراح كلما أقبل الليل يحط تحت

شجرة كبيرة وبنام قرير العين . وأما نتاج أتعابه من الصيد ، فكان يبيعه في السوق بأثمان تكفل له الفوت .

وأدبر الصيف ، وبدأت أسراب الطير تغادر الأدغال ميممة شطر المدن . وغادر الفتى الأدغال مكتئباً حزيناً ، وجعل يطرق الأبواب من جديد طلباً للعمل ، لكنه لم يشأ أن يضحى بحريته ، وهى أثنى شئ لديه . فصار كلما تسلم عملاً لم يلبث أن يتركه ليهبث عن غيره أفضل منه .

وفي المدينة تعرف غوركي إلى كثير من الأصدقاء ، وعن طريق هؤلاء تمكن في نفسه ميل خاص إلى شئ جديد ، هو اقتناء الكتب وقراءتها . وأقبل على مطالعة القصص بشغف عظيم ، وأخذ يبحث عنها في مكتبات أصدقائه وعند الباعة المتجولين الذين يبيعون الكتب القديمة بأسعار بخسة . ولم تنقض أشهر قليلة حتى صار غوركي قادراً على مطالعة الكتب الأدبية وتمييز الأساليب الركيكة من الأساليب الرفيعة . ثم وجه اهتمامه لقراءة تشيخوف وبوشكين وغوغول وتيرجينيف وليرمونتوف . وعندما أتى مرة إلى نهاية قصة فكاهية استهوته وتركت في نفسه آثاراً ، سرح فكره في الفضاء الفسيح ينسج وقائع لقصة ما ، ثم همل القلم وانصب فوق الطاولة يدون تلك القصة .

والحياة التي كان يشهها دائماً بالسجن ، صارت منذ دخول الكتب إليها أدعى لمسرته وراحة باله . والكتب كما عرفها آنذاك ، كالعصافير المغردة تبعث الأنغام في آذان المساجين ، فيطغى على نفوسهم الكئيبة قليل من البهجة والحبور . وتفتحت مدارك الفتى ، وانصرف يسعى لتحقيق عيش رغد هنيء . لكنه لم يفكر في الشهرة أو الاندفاع نحوها . وظن بادئ الأمر أن المسرح يكفل له العيش الخفيض . وجاب المسارح يعرض نفسه للظهور فيها ، وقبل في أحدها . وأعطى ذوراً ثانوياً في رواية عنوانها «كريستوفر كولبس أو اكتشاف أمريكا» وطلب منه وهو في لباس الهنود الحمر أن يشترك في معركة تدور رحاها بين الهنود والأسبان ، ويسدد بنجيره الطعنات للغزاة المعتدين . وقام بواجبه ، ولكنه لما أصابت جسمه طعنة سيف خارقة ، نسى أن يرتدى على الأرض . فضحك الجمهور ، وغضب مدير المسرح ، وصب فوق رأسه جام شتائمه ، وطرده من العمل .

ويأس الفتى من المسرح أيضاً ، وفكر في مسلك جديد في الحياة .

فغادر بجنينوغرود وكان آنذاك في الخامسة عشر ، متجها صوب قازان لينال العلم في جامعتها .

ولم يكن يتوقع أن يقبل في جامعة قازان بسهولة . وقد كتب في مذكراته قبل دخول الجامعة يقول : « لوقبلت في الجامعة على شرط أن أجد في كل أحد ، على مرأى من السكان لارتضيت الشرط . » إلا أنه قبل بمجرد وصوله المدينة . وهناك تفتحت أمامه آفاق جديدة ؛ فأخذ يتعرف إلى الحركات السياسية السرية ويتقرب إليها ، ويصادق نفرا من الطلاب الثوريين . وأما مسكنه فكان غرفة صغيرة في أسفل بيت قديم متداع في شارع من الشوارع المهملة . وما لبث أن عثر على مهنة كان يتقاضى منها أجراً يوميا قدره عشرون كوبيك .

وبوساطة أصدقائه من طلاب الجامعة الثوريين ، صار غوركي يتصل بجمعيات الطلبة السرية ويقرأ نشراتها ويحضر بعض جلساتها ويقف على تطورات التهيئة للثورة . وأخذ طالب الجامعة يطالع كتب آدم سميث وتشيرنيشفسكي وكارل ماركس . ثم انعدمت الحاجة إليه في عمله فأخرج . وجرى يبحث عن عمل آخر . فتييسر له ذلك في فرن حيث شغل مركز مساعد للفران . وكان صاحب الخبز رجلا متجبراً يدعى سميونوف يشتغل أجراً مخزبه مدة أربع عشرة ساعة في اليوم مقابل أجور تافهة . وكان غوركي يتقاضى ثلاثة روبلات في الشهر ، ويعمل كغيره طيلة النهار ، فلم يرضه الحال ولم يغيض الطرف عن ذلك الاجحاف . لكن صاحب الخبز لم يستطع كبت نفسية غوركي الثائرة ، ولم يقدر على منعه من التذمر والشكوى . وأخذ غوركي يجمع العمال في حلقات ، ويحدثهم بأسلوب طلي جذاب ، عن حقيقة أصحاب العمل الحشعين ، الذين يدأبون على هضم حقوق العمال ومعاملتهم بالعنف بدل اللين . وبينما غوركي يبث تعاليمه بين العمال في إحدى تلك الجلسات ، إذ بسميونوف يفاجئه ، فيتهره ويغلظ له القول وينزل به أشد العقاب .

لكن إيمان غوركي بحرينه وبأفكاره لم يتزعزع ، فثبت أمام هجمات المعلم ثبوتاً راسخاً . ولما خطف سميونوف من يده مرة كتابا كان غوركي يقلب صفحاته ، وحاول إلقاءه في النار ، صرخ غوركي في وجهه صرخة هائلة وقبض بأصابعه الطويلة على معصمه واسترجع الكتاب وهو يقول : « أتجرؤ

يا هذا على إلقاء الكتاب في النار! ...» ولم يملك صاحب الخبز إلا الانسحاب من الغرفة خوفاً من غوركي الذي ارتسمت على وجهه أمارات غضب هائل . بعد تلك الحادثة بأيام ، راح غوركي يعد العدة لاضراب عام داخل الخبز فكشف سميونوف الأمر قبل وقوعه ، وطرد غوركي للحال . فانضم إلى مخبز يشرف عليه رجل يدعى درنكوف وتديره إحدى الجمعيات السرية ، وتخصص مراجحه لدعم المنظمة مالياً . وفي تلك الأثناء ، تشدد رجال الشرطة في مطاردة الرجال الثوريين من أعضاء الجمعيات السرية ، وعثروا على بيت غوركي فدخلوه عنوة وقلبوا محتوياته وبعثروا متاعه في جنبات الغرفة ، وقدموا تقريراً يفهم منه أن للفتى علاقة بالعمل السياسي .

وجاء الخريف ، وجاءت معه أمطاره الغزيرة . وفي أحد الأيام تسلّم غوركي خطاباً يحمل نبأ وفاة جدته العزيزة عليه . فاكفهرت الدنيا في وجهه وأظلمت واعتراه يأس قاتل . وراح يتصور بؤسه المقيم وتعاسته الدائمة ، فمقت الحياة ، واختمرت في رأسه فكرة الانتحار . فاشترى مسدساً وخرج في إحدى الأماسي إلى ضاحية من ضواحي المدينة وأطلق الرصاص على جنبه الأيسر . وعثر عليه في الساعة الثامنة من مساء ذلك اليوم وهو الرابع عشر من كانون الثاني عام ١٨٨٧ مضرجاً بدمه ، فنقل إلى المستشفى حيث عولج ونجى من إصابته الخطرة بعد جهد .

غادر غوركي المستشفى أشد مضاءً وأقوى عزيمته . ورجع إلى مخبز درنكوف وواصل العمل مجد ونشاط . وبين حين وآخر ، كان يزوره في المخبز رجل يدعى روماس مالبثت أن اشتدت بينهما أواصر الصداقة وتوثقت . ثم عرض روماس على غوركي أن يقبل الانتقال معه إلى قريته ، حيث يوفر له الهدوء والراحة في مسكنه الريفي . ووافق غوركي ، وغادر المدينة مع صديقه في طريقه إلى القرية المنتصبة على شاطئ الفولجا . وهناك أخذ غوركي عن قرب يشاهد تعاसे الفلاحين ويتحسس مصائبهم ، ويضيق باستبداد أصحاب الأراضي وإغراقهم في التيه والجبروت . فانضم إلى جمعية سرية يعمل صديقه فيها وترى إلى تجريد أصحاب الأراضي من سلطانهم . إلا أن الاخفاق الذريع كان من نصيب تلك الجمعية السرية ؛ فقد فوجيء أعضاؤها بهجوم عنيف قام به أصحاب الأراضي ، وتعرضوا من جرائمهم وأبناؤهم وأسرههم لأبشع

ضروب الغدر والانتقام ، وسقط صديق غوركي صريعاً . ففر من القرية وأخذ يتابع السير نحو الشرق ، حتى أشرف على بحر قزوين ، واستمر العيش هناك ، فعمل صياداً للسماك ، وأقام على الشاطئ يملأ النظر برؤية البحر وأمواجه المتلاطمة . وأقام غوركي هناك مدة ، ثم رجع إلى قازان وعمل حارساً في محطة سكة الحديد ، وظل يسير ويديه عصا في محاذاة خطوط السكة من الساعة السادسة مساء حتى السادسة صباحاً . واستقر في عمله ذلك شهراً قليلاً ، انتقل بعدها إلى نجينوفجورود . وفي تلك المدينة بدأ يرتاد محال العمل ، طلباً لنوع جديد يختلف عن الأعمال السابقة كالحراسة الليلية والخدمة في المخازن وصيد الطيور والأسماك وغسل الأطباق . ولم يلبث أن الفى في المدينة جمعاً من أصدقائه الثوريين الذين تلقى مبادئ الثورة أول ما تلقى على أيديهم ، فقتن معهم وأظله وإياهم سقف واحد ، واشتد نشاطه ، فالتقى القبض عليه وهو في بيته ، واقتيد إلى السجن حيث قضى شهراً . وصرف غوركي مدة السجن تلك في المطالعة ونظم الشعر . ووقع مدير السجن مرة على بضعة أبيات لغوركي ، فحمل الورقة وأخذ يردد الأبيات بلهجة يشوبها الاستهزاء في الوقت نفسه . وعند الانتهاء منها ، انبرى لغوركي يقول : «أى شعر هذا الذى تنظمه أيها الأحمق ؟ إذهب إلى كورلنكو بعد أن أطلق سراحك ، واعرض عليه نموذجاً منه لكي يرشدك إلى الشعر الحقيقى . »

وخرج من السجن وكلمات المدير ترن في أذنيه . وأسرع يبحث عن كورلنكو ، الأديب الشاعر الذى غطت شهرته الأفق والذى تعرفه جموع المثقفين من أبناء روسيا وأوربا وتعشق كتبه وأشعاره . وسر الكاتب الكبير بالشباب الناشئ ، ولس مواهبه وتكهن له بمستقبل زاهر . وأخذ يوجهه ويحضه على الكتابة قائلاً : « أكتب فى أى شىء كان . صف الطبيعة ومناظرها المختلفة ، وتكلم عن مشاهدتك فى الحياة . » وانصاع غوركى لرغبة كورلنكو ، فجعل يكتب ، وجعل معلمه يحسن توجيهه ويطلععه على مواضع القوة والضعف ، حتى أنس الشاب إلى الكتابة ، ولس فى نفسه الكفاية فيها والرغبة إليها ، وبقي يحمل فى نفسه أطيّب الذكرى وأجلها لمعلمه الأول . ثم غادر نجينوفجورود ليشرع فى رحلة طويلة فى طول البلاد وعرضها سيرا على الأقدام .

واقفتى أثر الفولجا ، فسار بمحاذاته مئات الأميال . ثم استقر مدة قصيرة في روستوف ، وانتقل منها إلى أوكرانيا وبساريا حيث تحول طويلاً في أنحائها ، ووصل إلى شواطئ الدانوب في رومانيا ، وظل شبح الجوع يطارده في كل تلك الأسفار . وفي أنجازيا لم يستطع أن يجد لنفسه سوى العسل ، يقيم أوده ويرد عنه غائلة الهلاك جوعاً .

ثم ارتد شرقاً حتى جاء القوقاز ، فأقام في ربوعه مدة طويلة ، وشعر هناك ب حاجته إلى قبول أى عمل يعرض عليه ليهيئ منه الغذاء ، فاشتغل أول الأمر حارساً في بستان ، ثم طباخاً في منزل قروي ، ثم قارئ صلوات على القبور . ولكنه على الرغم من كل ما كان يلاقيه من صعاب وأهوال في كل يوم من أيامه البائسة ، ظل متحملاً لذلك الشقاء ، قانعاً بظروف القلة والحرمان التي يلاقها في أسفار المتلاحقة . ذلك لأنه وهو يخالط طبقات الشعب الكادحة مخالطة فعلية ويعيش بين الفلاحين المجريدين من أبسط الحقوق التي يجب أن يتمتع بها كل إنسان ، ويرقب الفقراء المعدمين من أبناء الشعب وهم أغلبية السكان الساحقة ، في طرق معيشتهم وسكناتهم ، صار يتحسس مشاكلهم ويرثي لحالم ، وتمكنت من نفسه المبادئ الثورية التي لقيتها قيمياً مضى .

وهو كلما ازداد اطلاعاً ومعرفة بأحوال الناس ، نمت في نفسه الحقد والضغينة على أعداء الشعب . وقد حاول مرة أن ينقذ امرأة عارية مشدودة إلى عربة كما تشد الخيل والسيات تنهال فوق جسدها ، فتجمع حوله سكان القرية وألحقوا به من ألوان انتقامهم ما سبب إقامته في المستشفى في حالة خطيرة أياماً كثيرة . ولما أفاق واسترد قواه كتب في مذكراته مصوراً ذلك المنظر الذي رسخ في مخيلته يقول : « ... نعم ! لقد شهدت ذلك المنظر الفظيع بعيني في قرية كانديبوف في اليوم الخامس عشر من تموز سنة ١٨٩١ . »

وما كاد يغادر المستشفى ، حتى سمع باضطرابات تجرى في مدينة مكوب فحفز إليها ، وشاهد الجنود القوزاق ينزلون الهول في أهل المدينة . فحمل في الصحف حملة شعواء على سلطات المدينة ، فاعتقل ، ونقل إلى معتقلات الجيش ، وبقي هناك أياماً ، ثم أطلق سراحه واتجه إلى مدينة تفليس حيث آثر البقاء مختتماً أسفاره في جنوب روسيا .

واتصل في تفليس بالكسندر كالوجنى ، أحد المتتمين إلى الجمعيات السرية

والذي يملك كما يقول غوركي أثنى المواهب البشرية ، ألا وهى الشعور بالانسانية . كان كالوجنى رجلاً رزيناً مثقلاً ، يعرف كيف يتقرب إلى الناس وينال ثقتهم وإعجابهم ويعالج مشاكلهم . ولس كالوجنى بدوره مواهب غوركى ، فحسه على الكتابة عن رحلاته وتنقلاته . واستجاب غوركى لرغبة صديقه ، فسجل مشاهداته . ثم أخذ كالوجنى يسعى بروية بالغة ، إلى تحويل ذهن غوركى نحو القصة ، فما لبث أن أفلح . ورأى غوركى ينصاع لتوجيهاته ويشرع فى تأليف القصص ، حتى خرجت من بين يديه قصته البديعة الأولى «ماكرخدرا» التى نشرت فى الجريدة التفليسية اليومية «القفقاس» فى تشرين الأول سنة ١٨٩٢ : وفى أواخر السنة غادر غوركى تفليس يكن بين جوانحه عميق الحب لمن استكشف فيه شخصية القصصى .

ولم تكده تمضى بضعة أشهر ، حتى تسلم غوركى دعوة من صديقه القديم كورلنكو يطلب إليه فيها التوجه إلى سمارة ، وقبول وظيفة محرر فى مجلة «سمرسكايا» . وقبل غوركى الدعوة ، وأسرع إلى سمارة ، وأخذ اسمه بعد وقت قصير يتألق فى الصحيفة بجانب أسماء لامعة ككورلنكو وسبيرياك ويخايلوفسكى . وظهرت له قصص عظيمة سجلت فى سفر الخلود «كحنة قاسية» و«مرة فى الخريف» و«حضان» .

بعد سنة من الزمن ، كان اسم غوركى على كل لسان ، وأخذت الجرائد والمجلات المنتشرة فى مدن الفولجا ، تدعو الأديب الكبير لنشر قصصه ومقالاته . وإذ تسلم دعوة للعمل فى جريدة تصدر فى بلده مجنيناو فجرد انطلق مسرعاً ، واستطاع فى مدة وجيزة أن يرتفع إلى مصاف تولستوى وتشخوف . ووقفت السلطات القيصرية من بروز اسم غوركى واتساع شهرته موقف التريص ، وأصبحت ترى فى ذلك الأديب الذى يعالج فى كتاباته شؤون الشعب ويتحدث عن يؤس الشعب وحقوق الشعب ومشاكل الشعب ، خطراً عظيماً يهددها فى الصميم . فعولت على إبعاده وأرسلته إلى سجن تفليس . ولكنه لم يرهب السجن ، ولم تلن قناته ، فلحق تعاليمه نزلء السجن ، ثم جاءه العفو لعدم توافر الأسباب عن اعتقاله ، ورجع إلى مدينته ليواصل نشاطه الثورى . وفى سنة ١٩٠١ ، ذهب فى زيارة قصيرة إلى سانت بيترسبورغ . وشهد أثناء تلك الزيارة مظاهرة سلمية قام بها طلبة الجامعة ، وقاومها البوليس

بوحشية وغلظة . وسرعان ما حمل على الحكومة في مقال عنيف ، اختتمه بقوله «قريباً . . قريباً جداً ستهب العاصفة» . واعتقل من جديد ، واقتيد إلى سجن نجينوفورود . وهناك ساءت صحته وحل به هزالٌ شديد ، فهبت البلاد من أقصاها إلى أقصاها تحتج على اعتقال الكاتب الكبير وتطلب إطلاق سراحه ، وانبرى تولستوى يدافع عن السجين المريض . فاضطرت الحكومة إلى التراجع وتخلى سبيل غوركي . وعاود عمله محرراً في الجريدة ، واشتد اتصاله بالمنظمات الثورية ، وأضحى نفوذه عظيماً بين الطبقات العاملة ، ولم يثنه إرهاب الحكومة ومطاردتها له عن عزمه ، ولم يضعف من ثأثرته . إلا أن السلطات لم تتمكن له من حرية التصرف ، فعادت لاعتقاله ونفيه بعيداً إلى بلدة صغيرة تدعى ارزاماس ، معظم سكانها من الرهبان .

وأثار ذلك التصرف حفيظة زعيم الحركات الثورية لنين فكتب يقول : «لقد نفت الحكومة المستبدة من غير محاكمة ، رجلاً من أبرز رجال عصره وألعب شخصيات أوروبا ، رجلاً سلاحه الوحيد حرية الفكر .»

وازدادت صحة غوركي في منفاه سوءاً ، وأصبحت حياته في خطر . واضطرت السلطات أمام ضغط الجماهير ، واستجابة لرغبة الأطباء في إطلاق سراحه ، إلى إصدار العفو عنه . وخرج من السجن ، فوجد في انتظاره الألوف من الطلبة والعمال في مظاهرة صاخبة أعدوها احتفاءً بذلك اليوم . وحمله المتظاهرون على الأكتاف ، وجعلوا يجوبون به شوارع المدينة وهم يهتفون بحياته وسقوط الاستبداد والمستبدين .

وفي سنة ١٩٠٢ ، انعقدت آمال العلماء والأدباء الروس على انتخاب غوركي عضواً في أكاديمية العلوم . ولما التأم جمع الأكاديمية قررت بالاجماع انتخاب غوركي . ولكن القيصر لم يشأ لذلك الانتصار أن يدوم طويلاً ، فأرسل للأكاديمية كتاباً يقول فيه : إنه غير فخور بانتخاب غوركي عضواً فيها . وعلى الرغم من صدور ذلك الكتاب عن القيصر مباشرة ، فقد أبى اثنان من أعضاء الأكاديمية أن يثقيدا به ، وهما أنطون تشيخوف وفلاديمير كورلنكو . وليس ذلك بحسب ، وإنما أعربا جهارة عن احتجاجهما على تدخل القيصر في شؤون الأكاديمية .

وشرع غوركي بعد ذلك التاريخ ، يكتب للمسرح . فألف أول رواياته

«الفلسطينيون» وأتبعها بالرواية الثانية «أغوار الحياة» وجعل محورها معالجة شؤون الطبقات المعدمة . ورغمما عن مرور قلم المراقبة العريض فوق كثير من فقر الروائيتين وفصولهما ، فقد تقبلهما الجمهور باعجاب وتقدير عظيمين .

وأقبل عام ١٩٠٥ ، عام الثورة الاشتراكية الأولى ، واندمج غوركي اندماجاً كلياً مع أصحاب تلك الثورة والمهدين لها . فكتب في الصحف محرراً وموجهاً ، ثم حاملاً أعنف الحمل وأقواه على القيصر والحكومة القيصرية ، ورافعاً الستار عن فظائع تلك الحكومة والأهوال التي ترتكبها . واعتقل الكاتب المناضل وألقي في السجن ، وهناك كتب رواية «أبناء الشمس» التي استوحى فصولها من مجزرة اليوم التاسع من كانون الثاني سنة ١٩٠٥ عندما هرع ما يقرب من مائة ألف شخص من سكان سانت بيترسبورغ يستجدون عطف القيصر ويطلبون رأفته ورحمته وتخفيف قيود الحكومة عنهم ، فأجابهم على استجدائهم بفتح فوهات المدافع الرشاشة وتسليطها على صدورهم وهم أمام باب القيصر . وتدقت سيول الاحتجاج على اعتقال غوركي من جديد ، منها ما ورد من أبرز شخصيات روسيا ومنها ما ورد من رجال أوربيين وأمريكيين من أصحاب المكانات الرموقة كبير كوري وأوغست رودين وكلود مونييت . وسرح غوركي وسافر إلى موسكو حيث راح يجمع التبرعات لشراء الأسلحة والذخائر .

وقبل نهوض موسكو للقيام بثورتها المشهورة عام ١٩٠٥ بأيام قليلة التقى غوركي ولينين للمرة الأولى . وتراى إلى مسامحة عزم الحكومة على اعتقاله ، فاخفى عن الأنظار وتمكن من اجتياز الحدود إلى أوربا فأمرىكا . وفي أميركا كتب قصته الخالدة «الأم» التي انتشرت في العالم أجمع كأسرع ما ينتشر النور . ولم تكده الحكومة القيصرية تعلن العفو عن الفارين من أبناء البلاد سنة ١٩١٣ ، حتى نصح لينين لغوركي بالعودة . وبقي غوركي مدة أربع سنوات يعمل في الحركات السرية ، حتى إذا ما نشبت الثورة الاشتراكية الكبرى في تشرين الثاني سنة ١٩١٧ ، كان غوركي من أبطالها . وعند ما وافق القدر زعيم الثورة لينين بمينته بعد أعوام قليلة ، كان صديقه العزيز غوركي في جانبه يحنو عليه ويمر يده فوق جبينه .

وشعر غوركي بخطر المرض يستفحل ، واشتدت عليه وطأة الآلام

الجمانية ، فرحل إلى إيطاليا للاستشفاء ، وعاد إلى وطنه سنة ١٩٢٨ -  
 وكان في الستين من عمره - فخرج الشعب الروسى بأجمعه يستقبل المناضل  
 الجبار .

في سنة ١٩٣٢ ، احتفل الاتحاد السوفياتى بذكرى مرور أربعين سنة على  
 صدور أول أثر مخطوط لغوركى .

وفي سنة ١٩٣٦ ، أغمض غوركى الاعمضاء الأخيرة ، وانطفأ ذلك  
 السراج المنير . وبكى الملايين في روسيا وخارجها حزنا على خيوط ذلك القبس ،  
 ووقف مولوتوف يندب الفقيده في حفلة التأبين ويقول : « إننا اليوم نطوى  
 صفحة مجيدة في سجل تاريخنا . إننا ، نحن أصدقاءه ومعارفه ، نتلقى مع الملايين  
 من أبناء الشعب الروسى ضربة هائلة شديدة الوقع . وإن الانسانية جمعاء  
 لتفقد بعد نلتين رجلا عظيما قل أن يجود الزمن بمثله »

عقب هاسم

[القدمى]